

فن الرثاء بين الأصالة والتجديد

"دراسة تحليلية لمراثي الشاعر النيجيري إبراهيم جالو محمد جالونغو"

١. أبو بكر آدم مساما - قسم اللغة العربية - جامعة عثمان بن فودي ، صكتو نيجيريا
٢. د. الطيب زايد رابح - قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة بخت الرضا

المستخلص

تناول الشعر العربي النيجيري القديم أكثر موضوعات الشعر التقليدية، من مدح، ورثاء، وشعر الجهاد، والشعر التعليمي، والوعظ والإرشاد، والوصف، والحكم والأمثال، والهجاء، والتوسل، والغزل العارض. وهذه هي أهم الموضوعات التي تناولها الشاعر النيجيري حتى نهاية القرن التاسع عشر الميلادي، وأما الرثاء عندهم فقد سار على درب الرثاء التقليدي نفسه ، فهم يذكرون الموت وغدره، ويذنون الدنيا وغرورها، ويشيرون كذلك إلى بعض محاسن الميت، غير أنهم في الغالب يقتصرون على صفات مشتركة. ومن هذا المنطلق فإن هذا المقال يستهدف دراسة أنماط من اتجاهات التجديد والتطور في شعر إبراهيم جالو محمد جالونغو في مراثيه، فعقد الباحثان خطة المقال على العناصر التالية: نبذة تاريخية عن حياة الشاعر ، وشعر الرثاء في الأدب العربي النيجيري القديم ، وفن الرثاء لدى الشاعر إبراهيم جالو محمد جالونغو ، وملامح التطور والتجديد في مراثي الشاعر جالو ، ثم الخاتمة تقفوها المراجع والحواشي.

المقدمة

من المؤكد أن الشعر العربي النيجيري القديم له صلة متينة ووطيدة بالشعر الجاهلي، لا من حيث الأسلوب والأخيلة والصور فحسب، بل من حيث الموضوعات والأغراض كذلك ، ولعلّ السبب في ذلك يعود إلى تأثر هؤلاء الشعراء القدامى بقصائد شعراء الجاهلية. وقد درج الباحثون المعاصرون على وصف الشعر العربي النيجيري في القرن التاسع عشر الميلادي بأنه امتداد للشعر الجاهلي إذ لم يتغيّر إلا تغيّراً طفيفاً وجزئياً اقتضته طبيعة التغيّر الذي حدث في العقيدة. صار الشعر العربي النيجيري على هذا النهج المعروف حتى أوائل القرن العشرين الميلادي إلا أنه تأثر بالظروف التي طرأت

على نيجيريا إثر استيلاء المستعمرين عليها. ومن أهم تلك الظروف: تأسيس المدارس العربية الحديثة ، وإرسال البعثات إلى دول العرب وغيرها لدراسة المواد العربية ، وورود كتب عربية مطبوعة إلى المنطقة.^٢

وقد أتت تلك المؤثرات وغيرها إلى حدوث بعض التغيرات الملموسة في الشعر العربي النيجيري والتي يمكن عدّها نوعاً من التجديد فيه. فالشاعر العربي النيجيري المعاصر مع احتفاظه في شعره بالأصول التقليديّة لم يمنعه من إدخال عناصر تجديدية في شعره، فهو يخوض فيما خاض فيه معاصروه ويواصل الخطى معهم في ميادين التطور الديني والسياسي والاجتماعي والثقافي، وللكشف عن الاتجاهات التجددية التي تطرق إليها الشاعر إبراهيم جالو محمد في مراثيه والتبصير بها عقد الباحثان هذا المقال على العناصر التالية:

نبذة تاريخية عن حياة الشاعر إبراهيم جالو:

إن الشاعر إبراهيم جالو محمد جالغو من مواليد عام ١٣٨٠هـ الموافق لعام ١٩٦٠م. ولد في قرية جئ - موري في حكومة محلية كرم لاميطو ولاية تارا شمال نيجيريا، انتسب من جهة والديه إلى قبيلتين مشهورتين في كانب نرو وبلاد هوسا في نيجيريا، الكانورية والفلاتية، ونشأ في أسرة علمية متديّنة، تهتم بقراءة القرآن الكريم وحفظه، وأنه شغوفاً بالعلم حريصاً على التحصيل، فبدأ تعاليمه على يد والده منذ نعومة أظفاره، وواصل في الدراسة والتحصيل حتى استقى من ينابيع مشاهير العلماء والجهابذة، ومناهلهم العذبة الفياضة، وارتوى من بحور معارفهم الضخمة العميقة، وهو حريص جداً على التمسك بصناعة طيبة يعيش عليها، ليتعفف عن سؤال الناس، وتزوج منذ فجر بلوغه، ورزقه الله تعالى أولادا ذكورا وإناثا، وقد اصطفاه الله سبحانه وتعالى وخصه بأخلاق وشمائل حميدة فاضلة اكتسب بها ثناء طيباً من كثير من أهل العلم والصلاح ، وقد قضى جلّ عمره - ولا يزال - في الدعوة والإرشاد ونشر الثقافة العربية الإسلامية بين أمته، حتى تخرّج في مركزه عدد لا يستهان به من الطلاب في شتى الميادين

العلمية، ولقد شارك ولا يزال يشارك في حركة الإنتاج والتأليف، فأنتج إنتاجات عديدة شعرا ونثرا.^٣

شعر الرثاء في الأدب العربي النيجيري القديم:

يعتبر شعر الرثاء من أهم الفنون الشعرية المتداولة بين الشعراء في نيجيريا، وقد كثر هذا الفن في الشعر العربي النيجيري القديم كثرة تكاد تفوق سائر الأغراض الشعرية، فلا يموت عالم رباني أو أمير مشهور أو طالب متحمس أو زميل متفطن أو شهيد محتسب إلا أطلق الشعراء ألسنتهم، ونظموا قصائد ومقطوعات يرثون بها المفقود.^٤ إلا أنه في تلك الفترة لا يخرج عن كونه رثاء تقليديا على نهج ما سار عليه الشعراء في صدر الإسلام حيث نجد الشاعر يعدد محاسن المفقود ومكارم أخلاقه من تقوى وجود وشجاعة وما إلى ذلك من الفضائل النفسية، ويظهر الشاعر كذلك حزنه الشديد على فضائل أفقدت بغيبة المرثى وتعاطفه عليه.

ويمتاز الرثاء في الأدب العربي النيجيري القديم بالاتجاه الديني، كما هو ظاهر عند بعض النقاد يصور للقارئ بعض مميزات شعر الرثاء لدى علماء الجهاد في خلافة صكتو قائلا: " أنه قد خيم على شعر خلافة سكوتو في الرثاء جو من الزهد في الدنيا وذكر الآخرة".^٥

فن الرثاء لدى الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنجو:

وعلى ضوء ما سبق ذكره وردت غالب مرثي الشاعر الدكتور إبراهيم جالو محمد جالنجو، فإنها تمتاز بالاتجاه الديني الذي هو مظهر من مظاهر حياة الأديب الإسلامي. ومن أمثلة ذلك قصيدته في بكاء شيخه أبي بكر محمود جومي والتي يقول فيها:

النَّفْسُ إِنْ صَدَّتْ تَقَلُّ أَنْتَهُ أ * وَيَبِينُ مِنْهُ أ حُزْنُهُ أ وَشَكَاتُهُ أ
لَا يَبْرُنُ الصُّورُ مِنْ سَلْحَاتِهِ أ * لِي يَعْزَّ لَتَظْهَرَنَّ سَمَلَتُهَا
إِنْ تَبَكَّى هَبِي فَذَا مِنْ حَقِّهِ أ * أَوْ تَسْكَنَنَّ فِيهِ لَ تَقْدُ صَمَاتُهَا
الْعُنَى جَاءَتْ بِالدُّمُوعِ وَأَكْثَرَتْ * لَكِنِ تَرَى لِي يَفْعِي عَوَاتِهِ أ
مَوْتُ الْعَرَبِيِّ فِي الْبِلَادِ خَرَابٌ هَلْهُ * وَيِ بِهِ عَوَانُهُ أ وَفَلَاتُ هُ أ

هُ هَرَّةٌ ضَرَبَتْ بِلَادِي كُلَّهَا * فَأُصِيبَ أَغْنَاهَا وَمَسْكِنَاتُهَا
أَوْ صِيحَةٌ سَمِعَتْ كَأَنَّ نَوِيَّهَا * تِلْكَ الَّتِي ضَرَبَتْ تُهَوِّدُ هَهَاتُهَا
أَوْ مَوْجَةٌ فِي الْبَحْرِ كَانَتْ وَقُوعُهَا * لُذِيلاً فِيهَا تَدْمُوكِبَا رَكَلاتُهَا
تِلْكَ الْوَفَاةُ تَفَلَقَتْ أَرْمَلَتُهَا * فِي النَّاسِ حَتَّى عَمَّهُمْ مَوِيلاتُهَا
تِلْكَ الْوَفَاةُ فَرِيئَةٌ مِنْ نَوْعِهَا * هُوَ الْبِلَادِ سَهْ أَمُّهَا وَقَنَاةُهَا
طَمَسُ السُّرُورِ طَبَّاعُهَا * وَشَعْرُهَا جَلْبُ الْمَتَاعِ فِي الْقُرَى غَايِلَتُهَا

والحق إن الأبيات السابقة تحمل صورة صادقة للحزن الذي يصبغ قلب الشاعر ونارا ملتهبة في جبينه، و تشعر كذلك أن قلب الشاعر يخفق ألما، وأن نفسه تضطرم أسي وحرنا. يبكي على المفقود لكونه ركنا عظيما من أركان الإصلاح الديني في بلاد نيجيريا وما جاورها. وقد أكثر الشاعر وأطال في بكائه ليبين الحسارة الفادحة التي أصابت الدين الإسلامي والإصلاح وبلاد نيجيريا جميعا، وأن الفجيعة في المفقود عامة لا تختص بالجزع عليها طائفة دون أخرى.

ويقول الشاعر جالو في بكاء طالب من طلاب الشيخ أبي بكر محمود جومي، مؤيد له ومتحمس لدعوته السلفية الشيخ إبراهيم بلوا ميشنكافا:

حَطِيئِي جُودًا بِالنُّوعِ وَأَتَمًّا * أَحَقُّ بِهِ نَا الْجُودِ لِي وَأَسْكِبُ الدَّمَ
فَبِالَّذِمِّ جُودًا يَلْخُ يَلِيَّ وَأَبِيَا * عَلَى عَطْمِ عَشِّ الْحَيَاةِ مَطْمًا
عَلَى فَهْمٍ فَذِّدٌ فَصِيحٌ وَوَاعِظٌ * هِيَ النَّاسِ لِلدِّينِ الْحَزِينِ وَأَفْهَمًا
لِي بِكَ إِبْرَاهِيمَ مَنْ كَانَ مُدْمًا * يَبِينُ بَدِينِ جَاءَ لِلنَّاسِ مَعْتَمًا
لِي بِكَ إِبْرَاهِيمَ مَنْ كَانَ هُمًّا * يَبُوتُ عَلَى الدِّينِ الْحَزِينِ لِي نَعْمًا
لِي بِكَ عَطِيكَ النَّاسِ مِنْ كُلِّ بُقْعَةٍ * فَمَوْتُكَ حَقًّا لِلرَّيِّ كَانَتْ مَوْلِمًا
قُلُوبِ الرُّوِيِّ بَلَّتَتْ عَطِيكَ حَزِينَةً * وَأَعْيَدُهَا مِمْصُورَةً تَسْكِبُ الدَّمَ

تأمل كيف أظهر الشاعر حزنه الشديد وتفجعه المرير اللذين شارك الشاعر فيهما كل الوجود من حوله ممن كان يدين بدين الإسلام لا سيما الذي همه الموت على هذا الدين الحنيف بل يبكي المفقود جميع الناس صالح وفاجر طائع وعاص لأن موت المفقود كان

مؤلماً للورى جميعاً لمكانته بين أمته، وحتى يطلب الشاعر من عينيه أن تجودا بالدم
بدلاً من الدموع الهواطل، نائحة على فضائل افتقدت لفقدان الشيخ الفاضل والواعظ
الفصيح عاش طوال حياته معلماً للأمة ومرشداً لها، لا سيما أنه خاض المعارك ضدّ
المبتدعات والمشركين الذين يعبدون مع الله آلهة أخرى.

وقد بلغ بالشاعر الحزن مبلغه فأظهر الأسى والتفجع حيث ظلّ يقاسى مرارة التسهيد فهو
دوماً يذرف الدموع قد حوّه مصابه الأليم في أعزّ الناس وأقربهم إليه من الزملاء
والأصدقاء الحاج محمد الخامس زميله في الدعوة والوعظ والإرشاد، فبكاه بكاء حاراً
بنونيته الخالدة قائلاً:

وهَا أَنَا جَالِسٌ وَدُمُوعٌ عَيْبِي * تَفِيضُ تَأْسُفًا فَيضًا مَبِينًا
لِخَرِّ جَاغِي وَالْخُرُشْرِ * إِذَا مَا كَانَ أَكَلِكُ الشُّجُونَا
فَمَلَاكَ مَا أَمْتَنَتْ وَلَمْ تَجْتِنِي * بِمَا يُوَدِّي قُذُوبَ الْهَ اِنْدِينَا
وَلَكِنْ قَدْ أَصَبْتَ وَقَلْتَ كَلًّا * مَجِيئِي وَاجِبٌ لِسَامِعِينَا
تَقُولُ مُدَدًّا مِنْ نُونِ خَوْفٍ * تُوَفِّي قَائِدَ الْأَبْطَالِ فِينَا^١

فصور الشاعر ألم فجيعة فقدان قائد الأبطال في الدعوة والإرشاد، إذ الشاعر أحد الدعاة
في جَانُوعٍ وما جاورها بل من كبار دعاة السلفية وحراس العقيدة في نيجيريا، وهو إذاً
على علم تام بأهمية المفقود الحاج محمد الخامس زميله خصوصاً ما ينفقه من مال
وجاه ووقت وصحة في تنقية الإسلام والمسلمين من درن الشرك والبدع في المنطقة.

واستمرّ الشاعر يبيّن أن المصيبة في هذا المفقود أشدّ من مصيبتيه في والديه والإخوة
والأخوات، لأنه بار للوالدين فهما في غم وحزن وأسف حتى يتساءلان في حيرة ودهشة
- حين اجتمع الناس للتعزية - ما الذي أصابنا؟ فرأينا الناس مجتمعين في فناء دارنا.
وأما كرمه وجوده وسخاؤه وإنفاقه الأموال الطائلة بين الإخوة والأخوات فإنه جعلهم
يشاركون في هذا البكاء فأتوا من كلّ فج عميق متأسفين يظهرهم ألمهم وفجيعتهم على
فراق هذا المفقود الكريم الجواد.

ومن تعظيم الشاعر الخطب لفقد الميت قوله في رثاء شيخ الإسلام ابن باز:

غَابَ ابْنُ بَازٍ شَيْخًا مُتَزَوِّدًا *
بِالْصِّدْقِ وَالْأَعْمَالِ مَلِيًّا سَدَّحًا *
يَارِينَا أَرْحَمَ شَيْخًا وَاعْفُ لَهُ *
وَانْزِلْهُ فِي الْجَنَاتِ يَا مَنْ يَحْمُ *
مَوْتَ الْأُئِمَّةِ مُؤَلِّمًا وَمُؤَثِّرًا *
فَإِذَا أَتَى كَادَ الْقُلُوبِ تَحَطُّمًا *
لَا الْجِسْمِ يَقْوَى مِنْ تَحَطَّى عِبْدِهِ *
كَلَّا وَلَا نَفْسٌ تَطِيقُ وَتَنْعَمُ *
يَأْمُوتُ لَوْ خَيْرَتْنَا لَوْجَدْنَا *
كُلًّا أَتَاكَ بِرُوحِهِ يَدَقُّكُمْ *
لَا الرُّوحُ تَعْلَمُ عِلْمَهُ هَكَذَا النُّمُ *
وَأَتُوبُ إِلَيْهِ مُنْذِبٌ مُتَسَلِّمٌ *
فَغَدَا وَلَيْسَ لَهُ خِيَارٌ يَطْمُ *
مَلَكَ وَلَا جِنَّ وَلَا مَنْ يَكْرُمُ *
مَلِكٌ وَلَا جِنَّ وَلَا مَنْ يَكْرُمُ *
مَلِكٌ وَلَا جِنَّ وَلَا مَنْ يَكْرُمُ *
مَلِكٌ وَلَا جِنَّ وَلَا مَنْ يَكْرُمُ *

وقد أظهر الشاعر لوعته وأسفه الشديد لما نعى إليه المرثي، هذا الشيخ المصلح الديني الكبير المفتي العام في الديار السعودية سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز، ويدين أن مصابه جلل ولذا يعز عليه وعلى الأمة الاضطراب، لأن موت الأئمة مؤلم ومؤثر لا الجسم يقوى من تحطى عبئه، ولا النفس تطيق على الصبر عليه.

يبكى عليه ؛ علمه وتقواه، والقيادة الإسلامية، وفي هذا البكاء ظاهرة التفجع، وبين الحسرة مخلوطا بالهتاف والأسف والاستعظام؛ وأقوى ما يكون هذا الطابع حين يبكى الشاعر رجلا من رجال الدين الذين اتصل بهم اتصالا وثيقا أمثال المفقود، فتراه يبكى بكاء حارا على سماحة الشيخ عبد العزيز بن عبد الله بن باز لمكانته في قلبه إذ فقدته حين يكون أشد احتياجا إليه، فالشاعر حينئذ يواصل دراسته في الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة، عمادة الدراسات العليا كلية الشريعة قسم الفقه، فبكاه بهذه الأبيات الحزينة الخالدة يصف فيها ما تركه هذا العالم الجهد النحرير من أثر بعيد وألم شديد وحزن غامر ولوعة شديدة في قلبه.

فهذا البكاء خالد قد استمد خلوده من الرائي والمرثي، فقد كان الشاعر صادقا في وفائه وفي حزنه ولوعته، وكانت حياة المفقودين نموذجا بليغا للمصلحين المخلصين الذين ينشدون لدينهم العزة والرفعة.

ملاحح التجديد والتطور في مرثي الشاعر جالو:

وقد يعدّ ما سبق بيانه من إكثار الحزن وارقة الدموع والإطالة فيه وتعظيم الخطب لفقد الميت من خصائص المرثي الجديدة التي ظهرت في هذه الفترة. إذ لم تكن الحال في الغالب كذلك في الماضي.^{١٠}

وليس هذا فحسب هو الشئ الجديد الذي يلفتنا في رثاء إبراهيم جالو محمد، فنحن إذا أخذنا نتأمل في رثائه وجدناه يختلف عن الرثاء النيجيري القديم، خصوصا في رسم صفات الميت، من ذلك أنه في التآبين يذكر أوصاف الميت بشئ من الدقة، ويعرفه بدل أن كان الرثاء من قبل مقصورا على أوصاف عامة مشتركة يمكن أن يوصف بها الميت المقصود أو غيره. ١١

يقول الشاعر إبراهيم جالو محمد في تأبين الحاج محمد الخامس صديقه:

أَخَامِسُ قَدَ بَدَلْتِ وَقَدَ وَفَيْتِ * حَزَاكَ اللهُ رَبُّ الْمُصَدِّينَا
وَقَدَ عَطَمْتَكَ خَامِسُ كُلُّ جَمْعٍ * بِأَنَّكَ مُنْقَى مَا لَا تَمِينَا
وَأَنَّكَ صَادِقٌ فِي كُلِّ وَعْدٍ * نَطَقْتَ بِهِ أَمَامَ السَّامِعِينَا
وَأَنَّكَ فَارِسُ الْمِيدَانِ حَقًّا * مَتَى جَمَعَ الْمَجَامِعُ مُنْقِينَا
وَأَنَّكَ مُنْقَى إِنْ قِيلَ أَنْفَقُ * وَأَنَّكَ نَاصِحٌ نَصَاحًا مُبِينًا^{١٢}

اهتم الشاعر في هذا التآبين بفضائل المفقود النفيسة، فركز اهتمامه على ما قام به المرثي من إنفاق ماله الثمين في بناء شعائر الله من المساجد والمدارس ومراكز الدعوة والإرشاد، في زمن كان الناس في بخل وشح وبعد عن الإنفاق في سبيل الله إما خوفا من الفقر والضيق أو خوفا من التهمة بالإرهاب من قبل الغرب، فصمم المفقود على هذا الإنفاق حتى علم به المحتاجون فصار هدفا لهم، ومع كثرة المحتاجين المتوجهين إليه بالحاجات فإنه لا يخلف بالوعد بل إنه صادق في كل وعد، إلى أن وصفه الشاعر بالفارس في ميدان الإنفاق والوفاء بالعهد، فقد فاق جميع المنفقين في عصره فنال بذلك شرفا بين المنفقين، وعلاوة على هذا أن المفقود مصلح كبير وداعية فصيح ومرشد لبيب.

وكان جديرا بأن يوصف بذلك، إذ إنه جمع بين العلم والتقوى والإنفاق في سبيل الله إضافة إلى نصر الدين باللسان في الوعظ والإرشاد والتضحى لأجله. ولما أحب الشاعر إبراهيم جالو محمد تأبين الشيخ أبي بكر محمود جومي والإفصاح عن مكارم أخلاقه اعلم دقائق فكره فوصفه بما تمز به من المكارم قائلا:

ذَهَبَ الْمُحَقِّقُ وَالْمَدَّوْجُ بِالْمَطَا * رِفَ وَالْعُلُومِ تَمَيَّزَتْ تَرَجَاتُهَا
كُلُّ أَشَادَ بِفَضْلِهِ وَيُعَلِّمُهُ * نِعَمَ الْعُلُومِ تَكَاثَرَتْ ثَمَرَاتُهَا^{١٣}

ومما لا يدع للشك مجالا أن الشيخ أبابكر محمود جومي منذ أن كان تلميذا في المدرسة الابتدائية كان يسبق أقرانه في شتى المجالات مما جعله يفوز بتقدير العلماء وتشجيع إدارة المدرسة، ويحظى بإعجاب زملائه من التلاميذ.^{١٤} ومما يدل دلالة واضحة على تفوقه في الذكاء حتى صار متوجا بتاج شرف المعارف والعلوم والثقافات وأشاد الناس بفضله الجوائز التقديرية الوطنية والعالمية التي فاز بها، ومن أهمها:

- ١ - وسام الشرف من جامعة أحمد بلو عام ١٩٦٥ م.
- ٢ - وفي العام نفسه منحه جامعة إبادن الشهادة العالمية العالية للتقدير مثيلة للتي فاز بها في جامعة أحمد بلو.
- ٣ - ومنحه رئيس الوزراء أحمد بلو الوسام العثماني لخدمة الإسلام.
- ٤ - كما قمت له الحكومة المصرية بزعامه الرئيس جمال عبد الناصر وسام الشرف عام ١٩٦٣ م.
- ٥ - وشرفته جامعة كامبرج في بريطانيا بشهادة المتقنين العالمية. وذلك عام ١٩٨٢ م.
- ٦ - وآخر هذه الجوائز التي حازها وأكبرها قدرا هي جائزة الملك فيصل العالمية لخدمة الإسلام عام ١٩٨٧ م. وقد كانت لهذه الجائزة أثر كبير على نفسية الشيخ أبي بكر محمود جومي مع أنه لم يكن على علم مسبق بحصوله عليها أو ترشيحه لها إلا بعد أن أذيعت في وسائل الإعلام العالمية، وكان يومئذ في زيارة إلى دولة النيجر المجاورة.^{١٥}

وواصل الشاعر في ذكر رفيفات فضائل الشيخ أبي بكر محمود جومي قائلا:

هِيَ سُنَّةُ الْمُخْتَارِ قَدْ أَحْيَيْتَهَا * وَتَنَاقَصَتْ فِي النَّاسِ مَبْدَعَاتُهَا

هِيَ سَنَةٌ نَاصَتْهَا أَوْثَرَتْهَا أ * فِي عَصُونَا حَتَّى بَتَّ طُرُقَاتُهَا أ
كَالشَّمْسِ بَعْدَ زَوْغِهَا أ وَطَوَّهَا * لَا يَنْكُرَنَّ ضِيَاؤُهَا وَسَوَاتُهَا أ
وَلَدْنِ رَحَّتْ وَوَدَّعَتْكَ دِيَارِنَا * فَلَيَقِنَّ مِنْ نَبِيِّ الْعُورِمِ حَيَاتُهَا أ
تَبْقَى بَقَاءَ الشَّمْسِ عَمَّ ضِيَاؤُهَا * كُلُّ الْبِلَادِ فَلَا تَرَى ظُلُمَاتُهَا أ
أَلْفَتْ خَيْرَ مَوْلَاتٍ كُلَّهَا أ * تَحْيِي الْقُلُوبَ فَنَنْتَعِدُ سَبَاتُهَا أ
تُرَجَّتْ آيَاتِ الْكِتَابِ جَمِيعُهَا أ * حَتَّى تَيْسَرَ حِفْظُهَا أ وَذَبَاتُهَا أ^{١٦}

ومما لا ريب فيه أن الشيخ أبابكر محمود جومي قد اشتهر من بين علماء عصره بالدعوة السلفية (الدعوة إلى الكتاب والسنة) ونشر تعاليمها منذ نعومة أظفاره، وكانت له فيها نشاطات ملحوظة داخل نيجيريا وخارجها، ومع صعوبة مهنة الكتابة في أيامه فأثارت نجد أنه قد بذل قصارى جهده في الكتابة والتأليف، ولعل من أهم ما تركه من الآثار كما أشار إلى ذلك الشاعر في قوله: ألفت خير مؤلفات كلها، كتابه في تفسير القرآن الكريم المسمى بـ "رد الأزهان إلى معاني القرآن" الذي يعتبر المحاولة الأولى من نوعه في بلاد نيجيريا بعد بني فودي.

وهو كتاب تفسير للقرآن الكريم، يقع في مجلدين مشى فيه على نحو تفسير الجلالين - جلال الدين السيوطي وجمال الدين المحلي - فيفسر المفردات ويذكر مجمل المعاني وأسباب النزول، ويذكر الموضوع الرئيسي الذي تدور حوله السورة في مجملها. ويعلق على القصص ويذكر الفوائد المستنبطة من الآيات، ويقل من التعليقات اللغوية. وقد طبع هذا الكتاب أولاً في بيروت على نفقة أحد المحسنين السعوديين - هو السيد أحمد باماعود وذلك سنة ١٩٧٩م. ثم طبعه الرئيس النيجيري شيهو شاغاري ثم أعاد طباعته التاجر الحاج إبراهيم كانو. ثم طبعه رابعاً الرئيس النيجيري إبراهيم بابنغدا، ثم الحاج آدم طنجوماً الطبعة الخامسة، ولقد وجد هذا الكتاب قبولا بين طلبة العلم في نيجيريا ويطالعه عدد غير قليل من الذين يحضرون مجالس التفسير المختلفة في كثير من أرجاء البلاد في شهر رمضان المبارك.^{١٧}

ولعلّ الغاية القصوى من هذا التفسير لا تتجاوز مضمون عنوانه أي ردّ أذهان الأمة إلى معاني القرآن الكريم ونبذ الإسرائيليات المنحرفة التي تكاد تعوق عن فهم معانيه الصحيحة ورسالته الميمونة.

وأسهب الشاعر في هذا التّأبين لبيان ما تركه المفقود من أثر خالد لن يضمحلّ دلالة على مجده ومكانته بين أمته قائلاً:

أُبشِّرُ وَغُورِكَ قَدْ نَمَى ثُمَّ اسْتَدْوَى فَبَا الدَّمَارُ وَغَمْنَا نَعَلَتْهُ أ
وَلَدْنِ تَوْفِي شَيْخِنَا عَمَّ الْهَى * فَجَنَانُهُ قَدْ أَيْتَتْ ثَمَرَاتُهُ أ
وَلَدْنِ تَعَيَّبَ شَيْخِنَا وَزَعِيمَنَا * فَعُلُومُهُ لَنْ تَذْهَبَ لَمَعَاتُهُ أ
تَبْقَى مَنَافِعُهَا بَقَاءَ حَيَاتِنَا * فِينَا تَزِينُ عَصُونَا بِهِ جَاتُهُ أ
تَبْقَى إِلَى أَدِّ تَنْزِيرِ بِلَانِنَا * لَنْ يَضُمَّنَّ وُجُودَهَا وَحَيَاتُهُ أ^{١٨}

ولعلّ الأبيات السابقة توحى إلى نخبة زكية من طلاب العلم المؤيدين للمفقود والمتحمسين لدعوته الذين يقتفون أثره في الدعوة والإرشاد على منهج أهل السنة والجماعة، وإلى أبرز الجمعيات الإسلامية التي شهدها الواقع النيجيري بعد وفاة السيد أحمد بلّو سونون، بل إنّها كبرى الجمعيات الإسلامية السلفية التي قامت في غرب إفريقيا في العصر الراهن، وهي "جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة" أسست في نيجيريا ما بين عام ١٩٧٨ و ١٩٧٩م.

تعتبر هذه الجمعية من أهم ما تركه المفقود الشيخ أبو بكر محمود جومي من الآثار، وهي غنية عن التعريف، فقد عرفها كل من له أدنى صلة بالجمعيات الإسلامية النيجيرية في هذه الأيام، وظهر أثرها الفعّال في داخل نيجيريا وخارجها، وأدرك فضلها الصديق والعدو. حملت على عاتقها الدعوة إلى التوحيد، والتحذير من الشرك بأنواعه، وتسعى كذلك لإحياء السنة المحمدية وإخماد البدعة الشيطانية، وفضل هذه الجماعة وأثرها الميمون في نيجيريا وما جاورها مما يشار إليه بالبنان ويذكر ولا ينكر، ويروى ولا يطوى.^{١٩}

ولا شك أن هذا التصوير الدقيق لأوصاف المفقود الشيخ أبي بكر محمود جومي الذي رسمه لنا الشاعر إبراهيم جالو في هذه الأبيات من ملامح التجديد والتطور في الرثاء العربي النيجيري، وأنه مما لا ينازع فيه اثنان أن هذا الوصف الدقيق يحمل في طياته صورة واضحة المعالم لما تركه الشيخ أبو بكر محمود جومي من الآثار، التي تدل دلالة واضحة على مجده ومكانته بين الأمة الإسلامية النيجيرية، وتمّوزه بين علماء عصره. فكان القصيدة لدقة الشاعر في رسم أوصاف المفقود لا تصلح لرثاء أحد إلا هو.

والمألوف لدى الشعراء قبل القرن العشرين كما سبقت الإشارة إليه وصف الميت بأوصاف عامة مشتركة. وأصاب الشاعر إبراهيم جالو محمد في رسم صفات المفقود المتميزة نتيجة لثقافته الواسعة، حيث أدرك أن القاد عوّ من عيوب الرثاء التقصير في رسم صفات الميت حتى لا تصور ما كان له من مكانة ومجد، كما عيب الكميت في رثائه الرسول صلى الله عليه وسلم بقوله:

وبورك قبر أنت فيه وبوركت به، وله أهل بذلك، يثرب

لقد غيوا برا وحزما ونائلا عشية وراه الضريح المنصب^{٢٠}

فقد رأوا البيت الثاني معيبا، لا يصور مجد الرسول، عليه الصلاة والسلام ولا مكانته بين المسلمين وقومه. لذلك عدوا من أشدّ الرثاء صعوبة على الشاعر أن يرثي طفلا أو امرأة؛ لضيق الكلام عليه فيها، وقلة الصفات، وربما كان ذلك سببا في إخفاق الشاعر.^{٢١}

والحقيقة أن الشاعر إبراهيم جالو محمد قد تفقّف في الرثاء تفقّنا لم يعرفه شعر الرثاء العربي النيجيري قبل القرن العشرين، وقد تطوّر هذا الفن لديه تطورا ملموسا حتى خرج به عن دائرة الأشخاص إلى آفاق، من ذلك رثاء المدن الضائعة والبكاء على جمالها الزاهب، كما سيظهر لنا في رثائه لمدينة "كابول" بعد أن رأى ما حلّ بها من البؤس والتهويل والتشريد والتقتيل.

"كابول" مدينة قديمة معروفة في أفغانستان، وكانت قديما عاصمة سجستان وطخرستان، وهي اليوم عاصمة أفغانستان. وبها قبران زعم أنهما قبرا "روبين" و"شمعون"^{٢٢}

ومن القضايا التي تهمّ المسلمين قضية الحرب الدائرة بين المجاهدين الأفغان، وبين الحكومة الشيوعية في "كابول". نشرت مجلة المدينة مقالا للأستاذ جلال الدين أحمد النوري تحت عنوان: "كيف دخلت الشيوعية في أفغانستان؟" رسم الكاتب في المقال كيف خطّطت الشيوعية لمحاربة المسلمين في عقر بلادهم على المدى البعيد بدأت الخطّة بتظاهر الاتحاد السوفيتي وجعجتهم بالدعوة إلى الحرّية، والانتصار لها، والدّفاع عنها، تلك الحرّية التي يزعم أنه حاميا لشعوب شرق آسيا ومسلمي الخليج والعالم كلّه في تلك الأيّام، وبهذا الأسلوب استولى الاتحاد السوفيتي على عقولهم، بل استعمر عقولهم قبل أن يستعمر أراضيهم، وخرّب ديارهم وأفسد عليهم دينهم، والله المستعان.^{٢٣}

ولقد هبّ المسلمون الأفغان الذين لم تلوثهم الأفكار والمبادئ الشيوعيّة يدافعون عن دينهم وأعراضهم ضدّ الشيوعيين الذين أهلكوا الحرث والنسل وعاثوا في الأرض فسادا، فكانت معركتهم: معركة الإسلام ضدّ الجاهليّة، ومعركة الإسلام ضدّ الكفر، ومعركة الإسلام ضدّ الباطل، إنّها معركة المسلمين جميعا وليست معركة جماعة من الجماعات أو هيئة من الهيئات، وعلى هذا الأساس الديني من الوحدة والاعتصام بحبل الله المتين انتصر المجاهدون الأفغان على عدوّهم في أول الأمر، وأرغموهم على الخروج من بلادهم وهم يجرون أذيال الهزيمة والفشل.

ثمّ حدثت خلافات وصراعات بين المجاهدين الأفغان أنفسهم، ودبّ الخلاف بين أهلها نتيجة للفرقة والانقسام، وهذه حقيقة لا ريب فيها ويعرفها أعداء الإسلام، وتحدثت عنها الصّحف والجرائد والإذاعات شرقية كانت أو غربية، وبلغ الأمر إلى حدّ استحيل اجتماع كلمة المجاهدين على حزب من الأحزاب أو جماعة من الجماعات في أفغانستان وقد بذلوا محاولات من هذا القبيل ففشلوا، الأمر الذي مكّن عدوّهم من تدمير البلاد وسبي نساءها، وتأتيهم أطفالها في الربع الأخير من القرن العشرين الميلادي، ممّا جعل الشاعر الدكتور إبراهيم جالو يبكي على هذه الدّيار بكاءً حارّاً يصف للقارئ ما حلّ بها من خراب وتدمير بفعل هجمات قوّات الغرب.

وقد قدم للفكرة الأولى من القصيدة بتوضيح عاطفته الدينية القوية النابعة من إحساسه بالألم والكمد يعصر قلبه بعد أن رأى ما حلّ بـ "كابول" عاصمة جمهورية أفغانستان من

البؤس والتهويل والتشريد والتقنيل:

يُصَاحِ مَلَايَ لِهْ دَوِّ سَبِيلِ * أَوْ لَقَلَّاقِي وَالْهَمْ هُمُ بَدِيلُ
يُصَاحِ إِنِّي مُدْعَبٌ لَأَحْوَلِ لِي * لِي غَارِقٌ فِي الْحُزْنِ لِي مَشْلُولُ
يُصَاحِ قَدْ أَصْبَحْتُ شَخْصًا ثَاقِلًا * مَا كُنْتُ مَعْنَى إِنْذِي مَطُولُ
يَا صَاحِ هَلْ مِنْ مُنْجِدٍ وَمُسَاعِدِ * أَوْ نَاصِرٍ ضَرًا بِهِ تَسْهِيلِ
أَنَا مِنْ تَدَهْوٍ وَضَعَهُ وَحَيَاتِهِ * وَسَطًا عَلَيْهِ عَوُهُ الْمَجْهُوْلُ
يَلَاهُفَتِي يَا حَسْرَتِي مِنْ ذَا الْبَلَاءِ * هُوَ الْقُلُوبِ وَلَا أَرَاهُ فُزُولُ ٢٤

فالمتتبع للأبيات السابقة يدرك الموسيقى الحزينة الباكية تظهر في كل بيت، وتؤكدها الألفاظ والعبارات التي استعان بها الشاعر في التعبير عن عواطفه وآلامه وأحزانه من مثل قوله: "مالي للهدوء سبيل"، و"أو للقلقل والهموم بديل"، و"بل غارق في الحزن إتي مشلول" و"يا لهفتي يا حسرتي من ذا البلاء" و"هزّ القلوب ولا أراه يزول" إلى أن قال الشاعر:

يَلَاهُفَتِي أَسْفًا لِحَالِي لِي تَدَانِي * لَوْلَمْ أَكُنْ حَيًّا أَرَى وَأَقُولُ
أَعُضْتُ عَنْ طَلَبِ الْمَعَاشِ وَكَيْفَ لِي * طَلَبُ الْمَعَاشِ وَلَيْسَ لِي مَأْمُولُ
كَيْفَ الْمَعَاشِ وَلَا مَعَاشٍ لِإِخْوَتِي * الْأَفْغَانِ إِلَّا الْبُؤْسَ وَالنَّقْدِيلُ

انظر كيف استحکم على الشاعر الشّعور العاطفی الإيمانی الصادق وصنع صنيعة فيه فجعله ينسى جنسيته النيجيرية وهويته الكانورية الفلانية فيتخلى أنه أفغاني في نسبه وعرقه، ويعدل على ذلك بأنه يشعر بشعورهم يرضى برضاهم ويسخط بسخطهم ويسر بسرورهم ويحزن بحزنهم. فالقارئ المتتبع للأبيات السابقة يلمس عاطفة التحسر والانكسار والقلق واليأس وقد نزلت بالشاعر فجيرة تدمير "كابول" فأداه ذلك إلى تعطيل حواسيه وفقدان شعوره في طلب المعاش، بل حكم على الدنيا وكل ما اشتملت عليه من الجمال بالفشل أمامه ولا إرب له فيه. قد تحكمت عليه عاطفته الإيمانية وتملكت كيانه

فتفجرت منه تلك العبارات المفسرة لما في طبيّته، فالعاطفة إنن هي ملاك الأدب لا سيما إذا كانت صادقة. إذ هي مجموعة من المشاعر والأحاسيس التي تنتاب الأديب عند ما يمرّ بتجربة ما وهو يحاول أن يعو عنها في صورة لفظية معيّنة بغية إيصالها إلى القراء ليشاركوه في تجربته والتفاعل معه فيما يحسّ. وأنها تظهر أحاسيس الأديب فتبعث به إلى التعبير عما يجيش بصدوره.

وبعد هذا التقديم الحزين الذي يدلّ على الأخوة الإسلامية الخالصة والعاطفة الإيمانية الصادقة، والبكاء الحارّ الذي يشعر بما في قلب الشاعر من همّ وغمّ وحزن على ما أصاب المسلمين في "كابول" انتقل الشاعر إلى الفكرة الثانية التي هي عبارة عن توضيح حال "كابول" حيث توالى عليها غارات جويّة مدمّرة، وما طرأ فيها من جيش مدمر، وقنابل فتّاحة، وفي هذا الجو من القسيمة يوضح الشاعر حال أهل "كابول" أصبحوا أذلة بعد عزّ، وعبيدا بعد أن كانوا ملوكا في ديارهم، فقد شتت العدو شملهم، وانتهك حرمتهم. فاستمع إلى الشاعر يقول:

تومًا أرى كَابٍ ويليُّ قَدْلُ أَهْلِهِ * وَيُوِيهَا النَّشْرِيْدُ وَالنَّهْوِيْلُ
كَابُ وُلٌّ كُمْ مِنْ غَارَةِ جَرِيْبَةٍ * عَاتِيْهِهَا نَهْوًا وَأَنْتِ تَكُوْلُ
كَابُ وُلٌّ كُمْ عَاتِيَتْ جِيْبًا بَاغْتًا * وَمَمَّرَا لِأَلْرَضِ حِيْنَ يَصُوْلُ
كَابُ وُلٌّ كُمْ قَاسِيَتْ صَوْتِ بِنَانِقٍ * وَقَدَّادَفِ أَلْقَى بِيَهْنِ عَمِيْلُ
كَابُ وُلٌّ كُمْ كَابِ نَتِ جَرْمًا مَدْهَشًا * وَطَغَى طِيْكَ عَنُوْكَ الْمَجْهُ وُلٌّ
كُمُ أَمْطَرَتْ ظَلْمًا طِيْكَ قَدَّادَفٍ وَقَدَّ نَابِلٌ فَتَنَّاكَةَ وَنَصُوْلُ
وَأَقُوْلُ كُمْ شَاهَتِ ظَلْمًا سَلْفَرًا * اللهُ أَكْرُو، أَمْرُهُ مَقُوْلُ

وأما الفكرة الثالثة فهي عبارة عن النصح والإرشاد، نبه الشاعر المجاهدين الأفغان على وجوب الصدق في القول والعمل، وعليهم كذلك أن يحدفوا من ألفاظهم: هذا عميل، وذاك يتاجر بالجهاد إلى غير ذلك، لا سيما إذا كانت هذه الاتهامات توجه لأبرز قادة المجاهدين. والشاعر يفيدهم علما بأن إثارة الفرقة بينهم أشدّ سلاح يستخدمه أعداء

الإسلام خطرا، وأشدّ الضربات التي يسددها العدو تلك الضربات الداخلية التي تجعل الصفّ الواحد عدّة صفوف متخاصمة متحاربة.

واستمرّ الشاعر يبين للمجاهدين في أفغانستان أنّ العدو يرقص طربا وبتيه غرورا بسبب هذه الخلافات، ويحاول بذل كافة ما عنده من أجل ديمومتها واستمرارها، ولماذا لا يعقل هذا كله الشعب الأفغان، ويؤكد الشاعر أنّه لا خلاص لهم من هذا الهوان والذلّ إلاّ بالرجوع إلى المنهج الإسلامي الصحيح واتباع ما جاء به الرسول صلوات الله وسلامه عليه، وإخلاص النيّة لله وحده، وتوحيد صفوفهم:

بِالْعَلَى أَمْ مَا لِلرِّجَالِ عُقُولُ	* بِإِقَادَةِ الْأَفْغَانِ قُوْمُوا وَعَمَلُوا
حَقًّا عَقَدَ حُرْدٍ كَمْ لِفُضُولُ	* بِإِقَادَةِ الْأَفْغَانِ لَوْ فَكَّرْتُمْ
يَرْمِي بِهَا أَجَلِي لَكَادُ نُوْلُ	* لَوْ أَنَّ حَالَتَكُمْ غَاةَ تَحَارِبُ
وَحُزُوا الدَّتِي وَصَى بِهِنَّ رَسُولُ	* فَدَعُوا الْخِلَافَ فَإِنَّ فِيهِ خُسْرَةٌ
وَاسْعُوا لَهُمْ هَذَا هُوَ الْمَقُولُ	* لَا تَقْدُوا أَوْلَانَكُمْ وَنَسَاحَكُمْ
لَأَمْنٌ لَهُ الصَّلَوَاتُ وَالتَّرْتِيلُ	* إِنَّ الْجِهَادَ هُوَ نَوَالُ الْعَادِ

وفي المقطع الأخير من الأبيات دعاء متواضع من الشاعر يسأل الله سبحانه وتعالى أن يصبّ علينا الأمن دائما وأبدا، وأن ينقذ إخواننا الشعب الأفغان من هذه الويلات، ويتوسّل الشاعر في دعائه بالصلاة على خير خلق الله أجمعين، على منهج أهل السنة والجماعة في التوسّل بعمل صالح، رجاء أن يتقبّل الله منه الدعاء:

يَلْمُنْ لَهُ التَّكْبِيرُ وَالتَّهْلِيلُ	* يَا رَبِّ نَجِّنا مِنْكَ أَمَّا دَائِمًا
مَنْ إِنَّهُ نَوْمًا هُوَ الْمَسْئُولُ	* يَا رَبِّ أَنْقِذْ شَعْبًا الْأَفْغَانِ يَا
بَعْدَ الصَّلَاةِ وَمَنْ إِلَيْهِ يَمِيلُ	* ثُمَّ السَّلَامُ عَلَى النَّبِيِّ مُحَمَّدٍ
حَقًّا بِتَعْجِيلِ الْإِلَهِ عَوْلُ	* أَلَّلِ وَالصَّبْحِ الْكِرَامِ، وَكُلُّهُمْ م

ويظهر للقارئ جليا ممّا سبق ذكره أنّ هذا اللون من الرثاء جديد في الشعر العربي النيجيري، غير مألوف لدى الشاعر العربي النيجيري قبل القرن العشرين الميلادي، ولعلّ من أهمّ العوامل المؤثرة في هذا التجديد: تأثر الشاعر الشّديد بالشّعراء البغداديين في

القرن الثاني الهجري، أمثال الخريمي صاحب أطول قصائد الرثاء في الشعر العربي كله، وهي قصيدته في رثاء بغداد. وقد روي منها مائة وخمسة وثلاثون بيتاً.^{٢٥} وتأثره أيضاً بالشعراء الأندلسيين، فقد كانوا طوال فترة الحرب الإسلامية المسيحية التي دارت رحاها في جزيرة الأندلس يعبئون الجهود، ويشحذون العزائم، وهم يرثون المدن الضائعة، ويبيكون على جمالها الذاهب، وقد أشار بعض الكتّاب إلى هذا المعنى في قوله: "لم تسقط مدينة في يد مسيحي الشمال إلا بكوها، وتفجعوا عليها تفجعا حاراً، وهو تفجع كانوا يضمونونه استصراخاً للمسلمين في مغارب الأرض ومشارقها لعلمهم يستنقذون تلك المدن من براثن الأسبان، ويستعونونها إلى حظيرة الإسلام قبل أن تدك هناك كل صروحه، وتسقط كل راياته و أعلامه."^{٢٦} ومن أبرزهم أبو البقاء الرندي صاحب القصيدة النونية المشهورة في رثاء الأندلس بكاملها بعد أن أحسّ بقرب زوال حكم المسلمين لها نتيجة لتفككهم وانقسامهم، والتي يقول فيها:

لكلّ شئ إذا ما تم نقصان * فلا يغرّ بطيب العيش إنسان^{٢٧}

وأما من ناحية الأسلوب فلعلّ أول خلاف يقع بين الأسلوب القديم والجديد الحديث هو الخلاف على مادة اللغة نفسها وهي الألفاظ، فاللغة القديمة كانت تعتمد على ألفاظ وحشية جزلة قوية الرنين وكان الشعراء القدامى في نيجيريا يصطنعون هذه اللغة في قصائدهم لأسباب منها:

الأول: إبراز الشاعر ذخيرته اللغوية وتضلعه في اللغة العربية.

الثاني: محاولة الشاعر لجعل هذه الكلمات الغريبة في متناول طلبة العلم لكي يتسنى لهم معرفتها وفهمها وبذلك تزداد ذخيرتهم اللغوية أيضاً.^{٢٨}

ولما كان الشاعر إبراهيم جالو محمد من الشعراء النيجيريين المعاصرين المجدّدين الذين يحرصون على أن تكون لغة شعرهم لغة الحياة اليومية، فإنه لم يكن مضطراً إلى اصطناع لغة شعرية عالية تغاير اللغة الشائعة في مجتمعه، بل إنه تطرّق إلى مرحلة جديدة عن طريق محاولة الاقتراب بلغة الشعر من الثرية، حيث نجده يكرّر عبارات الداء وغيرها ممّا يشعر بالثرية في بعض مرثياته كما هو ظاهر في قوله:

يَصَاحِ مَلَايَ لِهْ دُوِّ سَبِيلُ * أَوْ لَقَلَّاقِي وَالْهْ هُومَ بَ نِيلُ
يَا صَاحِ إِنِّي مَذْعَبٌ لِأَحْوَالِ لِي * لِي غَارِقٌ فِي الْحُزْنِ لِي مَشْلُولُ
يَا صَاحِ قَدْ أَصْبَحْتُ شَخْصًا ثَاقِلًا * مَلَكَتْ مَغْزَى إِيْتِي مَعُولُ
يَا صَاحِ هَلْ مِنْ مُنْجِدٍ وَمُسَاعِدِ * أَوْ نَاصِرٍ ضَوًّا بِهِ تَسْهِيلُ

وهو يأخذ في تكرار الندا في أربعة أبيات متتالية، كما تكررت لفظة "كابول" و "كم" الخبرية في أربعة أبيات أخرى متتالية أيضا في نفس القصيدة وذلك عند قوله:

كَابُولُ * كُمْ مِنْ غَارَّةِ جَوِيَّةِ
كَابُولُ * كُمْ عَائِتِ حَيْثَا بَاغْتَا
كَابُولُ * كُمْ قَاسَيْتِ صَوْتِ بِنَانِقِ
كَابُولُ * كُمْ كَابَتْ جَرْمًا مَدْهَشَا
عَائِيْتِهْ أَ تَهْرَا وَأَنْتِ ذَكُولُ *
وَمَدْمَرَا لِأَرْضِ حِينَ يَصُولُ *
وَقَدَائِفِ أَلْقَى بِيَهْنِ عَيْلُ *
وَطَغَى عَلَيْكَ عَوَكِ الْمَجْهْ وُلُ *

ومهما يكن الأمر من شيء فإن هذا الأسلوب يدل دلالة واضحة على ميل الشاعر إلى استخدام لغة شعرية سهلة الألفاظ والتراكيب لتتناسب لغة الحياة اليومية، وقد سئل السيد الحميري: مالك لا تستعمل في شعرك من الغريب ما تسأل عنه كما يفعل الشعراء؟ فقال: لأن أقول شعرا قريبا من القلوب يلذه من سمعه خير من أن أقول شيئا متعقدا تضلّ فيه الأوهام.^{٢٩}

الخاتمة:

هذا المقال عبارة عن دراسة تحليلية فنية تهدف إلى إلقاء الضوء على العناصر التجديدية في مرثي الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنجو ، ويرجو الباحثان أن يكون المقال قد شمل عنوانه واحتواه ، وقد اجتهد الباحثان في جمع أهم ما يتعلق بموضوع الدراسة انطلاقا من نبذة تاريخية عن حياة الشاعر وشعر الرثاء في الأدب العربي النيجيري القديم، و شعر الرثاء لدى الشاعر إبراهيم جالو محمد جالنجو، وملامح التطور والتجديد في مرثيه، ثم الخاتمة وتفقوها المراجع والهوامش. وقد توصل الباحثان إلى النتائج الآتية:

- ١ _ إنَّ الشاعر إبراهيم جالو محمد من فحول الشعر العربي النيجيري المعاصر وأقطابه الكبرى، وممن كُتِبَ لهم التوفيق في مجال التجديد فيه.
- ٢ _ يعتبر فن الرثاء من الموضوعات البارزة في الشعر العربي النيجيري القديم والتي كانت موجودة فيه قبل القرن العشرين الميلادي ولكن دخلتها في شعر إبراهيم جالو محمد اتجاهات جديدة ومؤثرات جعلتها تتطور تطوراً ظاهراً.
- ٣ _ ومن العناصر التجديدية التي تطرقت إليها الشاعر إبراهيم جالو في مراثيه ما يلي:
أ - أنه في البكاء يكثر الحزن وراقدة الدموع والإطالة فيه ويعظم الخطب لفقد الميت، ولم تكن الحال في الغالب كذلك في الماضي.
ب - أنه في التأيين يذكر أوصاف الميت بشئ من الدقة ويعرف به . وقد كان الرثاء من قبل مقصوراً على أوصاف عامة مشتركة، يمكن أن يوصف بها الميت المقصود أو غيره.
ت - أن الشاعر إبراهيم جالو محمد قد تفقن في الرثاء تفقناً لم يعرفه شعر الرثاء العربي النيجيري قبل القرن العشرين، واتجه به اتجاهات جديدة حتى خرج به عن دائرة الأشخاص إلى آفاق أخرى كالمدن والممالك الزائلة.
ث - وأما عن الأسلوب فإنَّ الشاعر إبراهيم جالو لم يكن مضطراً إلى اصطناع لغة شعرية عالية تغاير اللغة الشائعة في مجتمعه، بل تطرقت إلى لغة شعرية سهلة الألفاظ والتراكيب.

المراجع والهوامش:

- ١ - كبير آدم تَنْنُ ذُفَاوَا، المدخل إلى الأدب العربي النيجيري في القرن التاسع عشر الميلادي، دار الأمة الطبعة الثانية، ١٤٣٢هـ / ٢٠١١م ص: ١١٩ . ١٢٣
- ٢ - كبير آدم تَنْنُ ذُفَاوَا، المرجع نفسه، ص: ٣٦.
- ٣ - ملخصاً من الفصل الأول والثاني من كتاب "ديوان الدكتور إبراهيم جالو محمد جالغو: جمعا وترتيبا وتعليقا" لمساما أبي بكر آدم، مخطوط.

- ٤ - أحمد سعيد غلادنتي (شيخو)، حركة اللغة العربية وآدابها في نيجيريا، دار المعارف مصر، ١٩٨٢م، ص: ١١٢.
- ٥ - بابكر قدر ماري (الدكتور)، شعر الرثاء في سكتو خلال القرن التاسع عشر الميلادي، دار الأمة للنشر والتوزيع كنو نيجيريا، ٢٠١٠م، ص: ٣.
- ٦ - مساما أبوبكر آدم، مرجع سبق ذكره، ص: ٣٦ - ٣٧.
- ٧ - مساما أبوبكر آدم، المرجع نفسه، ص: ٥٤.
- ٨ - " " " " " " ، ص: ١٠.
- ٩ - " " " " " " ، ص: ٦٢.
- ١٠ - أحمد سعيد غلادنتي (شيخو)، مرجع سبق ذكره، ص: ١٥٢.
- ١١ - وقد أشار أحمد سعيد غلادنتي إلى هذا المعنى قائلاً: "وربما لا يستطيع الشاعر في بعض الأحيان أن يأتي بتصوير دقيق يمزج به شخصية من يرثيه، فتكون مقطوعته صالحة لرثاء أي ميت، وذلك لأنك تجد فيها ذم الدنيا ونعيمها، ووصف الميت بالخصال الحميدة المعروفة." المرجع نفسه، ص: ١١٣.
- ١٢ - مساما أبوبكر آدم، مرجع سبق ذكره، ص: ٧٢.
- ١٣ - " " " " ، المرجع نفسه، ص: ٣٢.
- ١٤ - محمد المنصور إبراهيم، الشيخ أبو بكر محمود جومي: حياته مواقفه وآراؤه، بحث على مستوى الماجستير مقدم إلى كلية الآداب والدراسات الإسلامية، قسم الدراسات الإسلامية جامعة عثمان بن فودي صكتو، عام: ٢٠٠٠م، ص: ٤٨.
- ١٥ - محمد المنصور إبراهيم، المرجع نفسه والصفحة.
- ١٦ - مساما أبوبكر آدم، مرجع سبق ذكره، ص: ٣٧.
- ١٧ - محمد المنصور إبراهيم، مرجع سبق ذكره، ص: ٤١ نقلا من: where I stand ص: ١٩٤ - ١٩٥.

- ١٨ - مساما أبوبكر آدم، مرجع سبق ذكره.
- ١٩ - محمد الحاج أبوبكر (الدكتور)، **العلاقة بين جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة وبين الدعاة الخريجين**
- في الجامعات الإسلامية المختلفة: الواقع والمأمول، ورقة قدمت للمؤتمر الوطني الذي نظمه جماعة إزالة البدعة وإقامة السنة بمدينة صكتو نيجيريا، التاريخ: من الجمعة إلى الأحد: ٦ . ٨ . ربيع الأول ١٤٣٤ هـ الموافق: ١٨ . ٢٠ / ١ / ٢٠١٣ م، ص: ٢٥
- ٢٠ - الحسن ابن رشيق القيرواني، **العمدة في محاسن الشعر وآدابه ونقده**، تحقيق د. عبد الحميد هنداوي، المكتبة العصرية صيدا بيروت لبنان ٢٠٠٧م، ص: ١٦١
- ٢١ - أحمد أحمد بدوي (الدكتور)، **أسس النقد الأدبي عند العرب**، مكتبة دار النهضة مصر للطباعة والنشر الفجالة القاهرة، بلا تاريخ، ص: ٢٣٥.
- ٢٢ - ابن شداد، **الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة**، مصدر الكتاب: <http://www.alwarraq.com> ، ج: ١ ص: ١١١.
- ٢٣ - أحمد النوري (الأستاذ)، **كيف دخلت الشيوعية في أفغانستان**، مجلة المدينة ، ص: ٣١٤. <http://www.ahlalhadeeth.com> المنورة العدد ٤٦، مصدرها:
- ٢٤ - مساما أبوبكر آدم، مرجع سبق ذكره، ص: ٥٠.
- ٢٥ - محمد مصطفى هدارة، **اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري**، دار لمعارف بمصر، الطبعة الثانية بلا تاريخ، ص: ٤٤
- ٢٦ - محمد غمبو حمزة، **المقاومة في الشعر الأندلسي: دراسة تحليلية نقدية**، (مالم) مجلة الدراسات اللغوية العدد السادس فبراير ٢٠٠٦م / محرم ١٤٢٧ هـ يصدرها قسم اللغة العربية جامعة عثمان بن فودي صكتو - نيجيريا، ص: ١٠٢



- ٢٧- رمضان سعد القماطي وأصحابه، الأدب والنصوص والبلاغة والنقد، الجزء الثاني، جمعية الدعوة الإسلامية العالمية مكتب الإعلام والبحوث والنشر، الطبعة الثالثة ٢٠٠١م، ص: ١٣٦.
- ٢٨ - أحمد سعيد غلادنتي (شيخو)، مرجع سبق ذكره، ص: ١١٢.
- ٢٩ - محمد مصطفى هدارة (الدكتور)، المرجع السابق، ص: ٥٥٣ نقلا عن الأغاني، ج: ٧ ص: ٢٤٨.